



## سياسة التنازل

لم يكن الرئيس المصري حسني مبارك يتقصّد اي سوء حين عيّن شرم الشيخ مكاناً للقائه الرئيس السوري بشار الاسد قبل ثلاثة ايام. فهو فعل ذلك لأنه يقيم معظم وقته في هذا المنتجع حيث دأب على استقبال زواره حين يكونون في زيارة خاطفة (وباعتبار ان اجراءات الحماية فيه اسهل منها في القاهرة)، ولم يكن يرمي في جميع الاحوال الى احراج نظيره الشاب امام اصحاب النيات السيئة الذين استوقفهم ولا ريب ان تكون شرم الشيخ مسرحاً لتنازليّن سوريين مهمين خلال اسبوعين متتاليين.

لم يكد يجف الحبر عن توصيات مؤتمر شرم الشيخ حول العراق والتي كانت مناسبة لتخلي الحكم السوري، المشارك في المؤتمر بشخص حارس هيكله وزير الخارجية فاروق الشرع، عن لغته المعهودة في الشأن العراقي وتبنيه الاعلامي لمنطق المقاومة حتى آخر عراقي، حتى جاء اللقاء الثنائي بين الرئيسين المصري والسوري ليؤكد حقيقة ما كان كشفه مبعوث الامم المتحدة تيري رود - لارسن حول تراجع دمشق عن موقفها السابق من مسألة معاودة المفاوضات مع اسرائيل. وكما لو ان ذلك لا يكفي لاطهار رغبة المتبقي من البعثيين في تحسين سلوكه في عيون الولايات المتحدة، اضيف الى التنازل في موضوع المفاوضات تنازلاً ثانياً (بل ثالثاً اذا تذكرنا العراق) ، وهو اكثر راهنية باعتباره يتصل بالقرار ١٥٥٩ المتعلق بلبنان والذي يبدو ان دمشق قررت مقاربتة بواقعية مستجدة.

صحيح ان هذين التنازليّن لا يقر بهما الحكم السوري، او لنقل انه يريد الايحاء بالتنازل من دون تبنيّه في العن. والحق انه ليس من السهل التخلي فجأة عن قاعدة "تعا ولا تجي" التي صارت سمة نظام ما بعد حافظ الاسد، وان يكن ثمن هذا التراجع في هذه الحال جفاءً اخوياً مع القاهرة ومجافاة لحقيقة ما حصل في شرم الشيخ. فأياً يكن هامش التأويل في ما قاله الناطق باسم الرئاسة المصرية اثر هذا اللقاء، وما عاد وأكد في احاديث غير رسمية مع زملاء مصريين، وأياً يكن الاصرار السوري على الاحتفاظ بالالتباس في ما يتعلق بـ"وديعة رابين"، فقد بات واضحاً ان دمشق تعطي الاولوية لكسر عزلتها الدبلوماسية، لكنها لا تعرف كيف تفعل ذلك. فلا عجب بعد ذلك ان تكون المحصلة تخبّطاً ما بعده تخبّط.

لا عجب ولا ضير ايضاً من وجهة نظر الحكم السوري: فما يريده من التلويح بهذا الموقف الجديد او ذاك ليس جديد الموقف في ذاته، بل الاعلان انه صار في حال جهوزية كاملة لتقديم تنازلات الى الولايات المتحدة املاً في استرضائها، مثلما فعل الاسبوع الماضي في المسألة العراقية. هذا هو ربما معنى شعار "العروبة اولاً" الذي رفع على عدد من اللافتات خلال تظاهرة "الوفاء لسوريا" التي رعتها الحكومة الكرامية في لبنان ونظّمها حزب التلازم وحشدت لها الاجهزة المخبراتية والامنية من دون ان تفلح. تنازلات على المستوى الاقليمي تُقدّم الى الادارة الاميركية (هي نفسها التي يحشد المتظاهرون في بيروت ضدها)، ولا تنازل واحداً للشعب اللبناني الشقيق. نضع جانباً حجة وزارات التوجيه القومي القائلة بأن تظاهرة حزب التلازم، رغم تقزيمها من المليون المشتهي الى مئة الف، تثبت انه لا يمكن التحدث عن اجماع لبناني ضد الهيمنة السورية.



فحتى بالافتراض ان كل عديد المظاهرة كان من اللبنانيين، وان كل الذين ساروا فيها كانوا مقتنعين بما رفع من شعارات، يبقى الاستغراب مشرعاً، بل يصبح اكثر الحاحاً. فاذا كان لا مفر امام سوريا من بالتنازل، أليس الاحرى ان تتنازل الى اقرب القريبين اليها، لا ان تحولهم شهود زور. المشكلة في مثل هذا التصرف ليست فقط قلة الذوق التي ينم عنها، او بتعبير أطف غياب الاناقة فيه. المشكلة هي صدقية التحول السوري. فاذا كان القصد تخريب لبنان قبل الانسحاب منه، فان ذلك لن يسجل في رصيد الحكم السوري، بل العكس صحيح. اما ان تنغر دمشق بتأييد اسرائيل بقاء قواتها في لبنان، فهذا يعني انها لم تفهم بعد الحسابات الجديدة للادارة الاميركية، وهي لا تلتقي واسرائيل حول هذه النقطة تحديداً. ولعل اسرائيل والحكم السوري يخطئان معاً اذا اعتبرا ان الجغرافيا السياسية القديمة لا تزال اطار عمل الولايات المتحدة، فيما يتبدى اكثر فاكثراً ان الرهان الاميركي يدور حول تغيير النظام السوري إن لم يكن تغييره. وفي هذا المعنى، فإن الرسالة الحقيقية لتظاهرة الاستنباع هي ان الحكم السوري لم يفهم بعد كيف يدير سياسة التنازلات التي صارت قدره.

**سمير قصير**



<b>Id-Reference</b>	<b>04-Pr-000664</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		سياسة التنازل
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٤/١٢/٣ 3/12/2004
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	حسني مبارك - بشار اسد - فاروق شرع - تيري رود لارسن - حافظ اسد
	<b>Locations</b>	مصر - سوريا - عراق - ولايات متحدة - لبنان
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	مصر - سوريا - عراق - مؤتمر شرم شيخ - نظام سوريا ما بعد حافظ اسد - حافظ اسد - بشار اسد - مفاوضات مع اسرائيل - لبنان - انسحاب سوري من لبنان - قرار ١٥٥٩ - سوريا نظام - ودیعة رايبين - فاروق شرع - حزب بعث - ولايات متحدة - حكم سوري - وصاية سورية - شعار "العروبة أولاً" - تظاهرة مليون - تلازم مسارين - هيمنة سورية
<b>Subject</b>		